الفصل الثانى
الإلياذة

تلخيص وتحليل ونقد

تتكون الإلياذة من خمسة عشر ألفاً وخمسمائة وسبعة وثلاثين بيتاً ، ومجملها بالإيجاز أن أجاممنون إبّان ضرب الحصار على تراودة يوجه فى الأنشودة الأولى إهانة إلى أخيلوس فيعتزل هذا الأخير الجيش ويصمم على عدم المساهمة فى المعارك ، وينجم عن هذا الاعتزال أن ينهزم الأكيان تلك الهزيمة المنكرة التى تصورها لنا الأنشودة الثامنة . وفى الأنشودة التاسعة يبعث إليه ملوك الهيلين بسفارة تحاول أن تعطف قلبه ، ولكن مجهوداتها تذهب أدراج الرياح ، وعلى أثر هذا يحدق الخطر بالأكيان ويصل الكرب إلى أقصى حدوده ، وإذ ذاك فقط يوافق أخيلوس فى الأنشودة السادسة عشرة على أن يعير صديقه پَتْرُكلوس سلاحه فيحمله وينزل إلى ساحة الوغى فيهزم التروادين ، ولكن هِكتور يكر عليه فيقتله ، وحينئذ تثور ثائرة أخيلوس فيندفع إلى المعمعة فى الأنشودة التاسعة عشرة فيسحق أعداءه ويثأر لصديقه بقتل غريمه هكتور كما تحدثنا الأنشودة الثانية والعشرون . وأخيراً وتحت تأثير تضرعات پرياموس الشيخ يرد إليه جثة ابنه ليقيم لها الطقوس الجنائزية . هذا هو موجز الإلياذة ، أما تلخيصها وتحليلها ونقدها فى شىء من الإيضاح فهو كما يلى :

١ ـ الأنشودة الأولى :

لا يرتاب أحد من النقاد فى أن الأنشودة الأولى أقدم أناشيد الإلياذة على الإطلاق ، وهى تنقسم إلى قسمين منسجمين تمام الانسجام ، إذ يرسم لنا القسم الأول منهما الوباء الذى يجتاح جيش الهيلين والخلاف الذى يدب دبيبه بين زعمين من زعمائهم ، ويصور لنا الثانى نتيجة هذا الخلاف وما يعقب ذلك من تدخل الآلهة .

يفتتح المؤلف هذه الأنشودة باسم عرائس الشعر ويستعينهن الإلهام ، وهى سنة دينية قديمة ثم يحدثنا أن الأكيان[1] يغتصبون كريزيئيس ابنة كريزيس كاهن « فيبوس أبولون » فيتجه والدها إلى المعسكر ليستعيدها إليه ، فلا يكون من أجامنون إلا أن يطرده بعنف . وإذ يستحكم اليأس من قلبه يتوسل إلى أبولون أن ينتقم له فيستجيب دعاءه ويقذف الأكيان بسهم سخطه فيتفشى الوباء بين صفوفهم ويأخذ فى اجتياح جنودهم تسعة أيام متوالية ، فلا يرى أخيلوس بدا من أن يعقد مجلس الرؤساء ليطلبوا إلى « كلخاس » العراف أن يصارحهم بسبب سخط الإله فيفعل ويعلن كلخاس أن السبب هو الإهانة التى يوجهها « أجامنون » إلى كريزيس . وعلى أثر هذا التصريح تنحل الأهواء من عقالها فتثور ثائرة أجامنون وينهال على العراف بالسب ويجرح الرؤساء الآخرين بطريقة غير مباشرة ثم يعلن أنه إذا كان لا بد من رد « كريزيئيس » إلى والدها فإنه يشترط أن يستعيض عنها غيرها من محظيات الرؤساء الآخرين . وإذ ذاك يهتاج أخيلوس فتحتدم المشاجرة بينهما ويتبادلان التحدى والتهديد والإهانة ، وليس هذا فحسب ، بل إن « أخيلوس » يجرد سيفه إلى النصف من غمده ، ويكاد الفعل يعقب القول لولا أن تتدخل أثينيه و « هيريه » فى الأمر . وأخيراً يذعن « أخيلوس» لنصح الإلاهتين فيهدأ ، ولكنه يقسم أنه لن يسام معهم فى قتالهم ، وأن الأكيان سيعضون بنان الندم على فقدهم إياه ، غير أن « أجامنون » يصر على أخذ « بريزيئيس » إحدى جوارى « أخيلوس » بدلا من « كريزيئيس » ولا تستطيع نصائح « نِستور » الحكيمة أن تثنيه عن عزمه ، فلا يسع « أخيلوس » إلا أن يذعن وينسحب إلى خيمته بعد أن يجدد قسم الحنق . وحينئذ

---

(١) أسلفنا فى حديثنا عن نشأة الأمة الهيلينية أنها تنقسم إلى أربع شعب ، وهى : الينيان واليليان والدريان والأكيان ، ولكن ينبغى أن نعرف أن كلمة الأكيان قد طغت فى شعر هوميروس على أسماء بقية الشعب حتى أصبحت موازية لكلمة الهيلين كما طغت كلمة الينيان أو اليونان فى عصور أخرى إلى حد أن نسبت إليها جميع المنتجات الهيلينية فقيل : الفلسفة اليونانية ، والأدب اليونانى والتاريخ اليونانى ، وهذا كله خطأ لا يجوز إلا مجازاً من باب إطلاق الخاص وإرادة العام .

يتفرق أعضاء المجلس ويذهب كل إلى شأنه ، ويعد « أجا ممنون » العدة لإرسال « كريزيئيس » إلى والدها ولتطهير المعسكر .

هذا هو القسم الأول من الأنشودة الأولى ، وفى القسم الثانى نرى « أجا ممنون » يرسل رسله إلى خيمة أخيلوس ليحضروا محظيته فيسلمهم إياها ، ولكنه يجدد للمرة الثالثة قسمه للانتقام ثم يجلس وحده تاركا نفسه للحزن بينما يعود الرسل بالمحظية إلى أجا ممنون فيدفعونها إليه .

[[الصورة رقم ٣ مأخوذة عن متحف اللفر ، وهى مرسومة على وعاء فنى من صنع الفنان هيرون Hiéron]
يرى فيها أجا ممنون قابضا على يد أسيرته بريزيئيس محظية أخيلوس بعد أن انتزعت منه ، وخلف هذه الفتاة يرى الرسول تلثيبيوس والبطل ذيوميذيس .

وأخيرا يدعو والدته ثيتيس Thétis ، فتأتيه مسرعة من قاع البحر فيشكو إليها فتستمع إلى شكايته بحنان أموى وتتعهد له بأن تطلب إلى زوس أن ينتقم له حينما يحضر من رحلته التى ستستغرق اثنى عشر يوما .

وفى انتظار ذلك يظل أخيلوس فى عزلة تامة عن الجيش ومعاركه . وعندما يعود زوس تتحدث معه ثيتيس فى شأن ابنها فتنال منه وعداً صريحاً بأن حظ الأكيان سيكون أدنى من حظ أعدائهم حتى يقدموا إلى أخيلوس الترضية التى يقبلها ، ولكن « هيريه » تعلم بهذا

الوعد فتثور ضد زوجها زوس ، لأنها كانت قد أخذت على نفسها حماية الأكيان . غير أن ابنها « هيفِسْتوس » يتدخل فى الأمر فيحل الوئام محل الخصام . وعلى أثر هذا تقام مأدبة إلاهية سعيدة يركن بعدها الآلهة إلى الراحة والهدوء .

هذا هو مجمل الأنشودة الأولى ، ويلاحظ النقاد المحدثون أنها تغلب عليها البساطة إلى أقصى حدودها وأن الشخصيات التى تظهر فيها قليلة ، إذ نرى أن المشاجرة فيها قاصرة على أخيلوس وأجا ممنون كأنهما فى عزلة عن المعسكر وأن الوصف فيها محدود مختصر لا يعنى إلا بما لابد منه ، وأن الآلهة فيها يبدون قريبين من الطبيعة نعم يحوطهم الجلال ، ولكن لاتغمرهم الأبهة المغالية ، وتظهر عليهم العظمة والقوة ، ولكن تدخلهم فى تصرفات الإنسانية معقول،وهو صريح لايحاولون فيه إخفاء وجوههم. وقصارى القول : كل شىء فيها تظهر عليه مسحة الطبيعة ، ولكنه محوط بسياج من القوة والعظمة والجلال .

٢ ـ من الأنشودة الثانية إلى العاشرة

يرى النقاد أن الأنشودة التابعة مباشرة للأنشودة الأولى هى الأنشودة الحادية عشرة ، أما مابينهما من الأناشيد فقد أضيف فيما بعد ، وهو أجنبى عن الفكرة البدائية ، وأن تلك الأناشيد التسع من تأليف عدة شعراء لابد أن يكون بينهم من هم ذوو مواهب سامية ، لأن فيها مايعد من أحاسن أناشيد الإلياذة على الإطلاق . وكل مافيها من عيب هو عدم الانساق فى ترتيبها كما يدلل على ذلك الأستاذ كروازيه .

ومهما يكن من شىء فإننا سنتابع تحليل تلك الأناشيد حسب ترتيبها الحالى كما لو كان ترتيباً حقيقياً .

أهم حوادث الأنشودة الثانية هو أن زوس يصمم على هزيمة الهيلين كما وعد ، ثيتيس والدة أخيلوس ، فيرسل « أو نيروس Oniros » بحلم مزيف إلى أجا ممنون يريه فيه أنه لكى ينتصر على التروادين ماعليه إلا أن يشعل نار الحرب فى الحال ويذكيها بين

(١) هى إحدى الإلهات البحر ، ولها دالة على زوس لسكلفه بها .

الفريقين . وعندما يستيقظ هذا العاهل يريد أن يسير على هدى الحلم ، ولكنه يود أن يبتلى جنوده قبل إشعال لهيب القتال ، ليرى هل لديهم من الشجاعة والقوة مايساعدهم على اقتحام هذه المعركة أولا ، فيعرض عليهم فكرة إنهاء الحرب والعودة إلى بلادهم ، لينظر ماذا هم فاعلون بإزاء هذا العرض ، ولكنه من ناحية أخرى يوحى إلى الرؤساء أن يمنعوا الجند من الرحيل إذاهم اعتزموه ، فلايكاد الجنود يسمعون الإذن بالرحيل حتى يجن جنونهم من الفرح ، ويسرعوا إلى الاستعداد للعودة ، غير أن « أوديسيوس » يمنعهم بأحاديثه الساحرة ، وأساليبه الفاتنة فيعدلون ، ولكن هذا العدول لايقنع أجا ممنون بأن جنوده يساوون شيئا ، فيمتلىء قلبه يأساً وقنوطاً ، ويعظم ذلك على « نستور » الشيخ الحكيم ، فيلقى خطبة عميقة مؤثرة يشجع فيها أجاممنون ويعيد إليه أمله فى الانتصار فيعلن بدء المعركة .

ويرى النقاد أن فكرة ابتلاء أجاممنون الجند لم تكن فى الإلياذة البدائية ، وإنما أضيفت بعد ذلك ، لأنها تقلل من انسجام الأنشودة بدون أية فائدة ، إذ أنه ما دام أن أجاممنون كان مصمماً على إشعال لهيب المعركة أيًّا كانت الظروف فليس هناك معنى لهذا الابتلاء .

فإذا كانت الأنشودتان الثالثة والرابعة فنحن فى انتظار المعركة التى أعدت فى الأنشودة الثانية . وبينما نحن على هذه الحال إذ يتبدل الأمر فنرى « باريس » يظهر فى الميدان ويتحدى الأكيان ، فيبادر مينيلاؤوس إلى تلبية هذا التحدى ويعلن أنه يريد مبارزته ، وحينئذ ينشغل الفريقان بإعداد اتفاق يتعهدان بالإذعان لشروطه بعد انتهاء المبارزة . ومجمله أنه إذا كانت الغلبة لـ « مينيلاؤوس » استرد الأكيان هيلينيه ودفع لهم التروادیون تعويضاً . وإذا كانت الغلبة لباريس ، انسحب الأكيان دون المطالبة بشىء ما .

وبينما تدور المفاوضة بين رؤساء الجيش حول هذا الاتفاق نشاهد هيلينيه تصعد فوق سور تروادة فيستقبلها پرياموس بحنان أبوى ، ويلقاها شيوخ تروادة بإعجاب ثم تشرع فى تعريف التروادیين برؤساء الهيلين مشيرة إليهم واحداً بعد واحد . وهذا المنظر هو أجمل مناظر هاتين الأنشودتين كما يرى النقاد .

و بعد أن يوافق الرئيسان الأعليان : پرياموس وأجاِمْنون على المعاهدة وتقدم القرابين إشهاداً للآلهة على تقديسها وتنفيذ ما فيها من التزامات تبدأ المبارزة بين الخصمين فلا يلبث مينيلاؤوس أن يظفر بغريمه وخاطف زوجته ويهم بالفتك به ، لأنه ـ كما أسلفنا ـ رخو العضلات لا يقوى على الطعان أمام مثل مينيلاؤوس الشجاع الموتور ، ولكن ، أفروديتيه

[الصورة رقم ٤ مأخوذة من متحف اللفر ، وقد رسمها الفنان دوريس «Douris» على كأس]
يرى فيها بطلا المبارزة : مينيلاؤوس وپاريس ، وخلف كل منهما الإلاهة التى تؤيده .

فى نفس اللحظة التى كان سيفتك به فيها تنقله إلى قصره وتجمع بينه و بين هيلينيه ليعقب الاستمتاع المعركة .

أما مينيلاؤوس فيهيم فى الميدان ليبحث عبثاً عن خصمه الذى اختفى بطريقة غامضة فلا يعثر عليه .

و إذ ذاك يطلب أجاِمْنون ومن ورائه الأكيان تنفيذ المعاهدة ، وقبل أن نسمع الرد على طلبهم ينتقل بنا المؤلف بغتة إلى مجلس الآلهة حيث نرى هيريه ساخطة تحتم على زوجها سحق التروادين ، ولا تزال به حتى تنال منه وعداً بفسخ المعاهدة لتشعل نار الحرب فيتحقق تخريب مدينة تروادة الذى لا ترضى به بديلاً ، فلا يسع زوس إلا أن ينزل عند رغبتها فى إيقاد لهيب المعركة ، ولكنه يرمى من وراء ذلك إلى غاية أخرى وهى العمل على هزيمة

الهيلين تحقيقاً للوعد الذى قطعه على نفسه لـ « ثيتيس » والدة أخيلوس ، وعلى أثر ذلك تحمل الإلاهتان « أثينيه » و « هيريه » « بَنْداروس » وهو أحد أبطال حلفاء التروادين على مخالفة معاهدة الهدنة بتسديده سهماً إلى مينيلاؤوس فيفعل ويصيبه . وإذ ذاك يكتفى أجاممنون بالولولة على شقيقه وبالإسراع إلى معالجته دون أن يحاول الانتقام له من خصومه الذين يبدءون الهجوم بلا سبب . وهنا يلاحظ الأستاذ كرواز يه أن المؤلف يرى نفسه فى حاجة إلى إشعال نار الحرب فيشعلها دون أن يكلف نفسه عناء البحث عن مبرر لذلك .

وعلى أثر هذا تحتدم معركة هائلة تشغل القسم الأخير من الأنشودة الرابعة وتشمل الأناشيد : الخامسة والسادسة والسابعة ، وتستغرق طول النهار ، ثم تنتهى عند المساء بهدنة نرى فيها النصر إلى جانب الأكيان .

يعنون القدماء تلك الأناشيد التى تشغلها هذه المعركة بمفاخر « ذيوميذيس » وإن كانت مفاخر هذا البطل لا تتعدى نهاية الأنشودة الخامسة . وإليك مجمل هذه الأناشيد :

إذا وصلنا إلى أواخر الأنشودة الرابعة ثم إلى الخامسة فنحن فى معمعان القتال نرى «أريس» إلاه الحرب يثير التروادين ، و «أثينيه» تناصر الأكيان ثم تزود «ذيوميذيس» ملك أرجوس بقوة غير عادية . وفوق ذلك فإنها تحمل أريس على مغادرة الميدان فيصول ذيوميذيس ويجول . وإنه لكذلك إذ يطعنه بَنْداروس ، ولكن أثينيه تبرئه فى الحال وتزيد فى إثارته إلى حد أن تأمره بمهاجمة أفروديتيه نفسها إذا التقى بها فيثمل ذيوميذيس بهذه الحظوة ويهيم على وجهه فيسحق كل من يصادفه من أعدائه . وفى أثناء هذا الهيمان يلتقى بـ « بَنْداروس » غريمه فيقتله ويجرح « إنياس » Enéas ابن أفروديتيه فلا يسع هذه الأخيرة إلا أن تسارع إلى مناصرة ابنها ، فيلتقى بها ذيوميذيس ويطعنها فيجرحها فتفر مولولة إلى الأولمب حيث تشكو إلى والدتها « ديونيه » Dionè فتواسيها . وإذ ذاك يجد « ذيوميذيس » فى أثر « إنياس » ولكن « أپولون » يرده عنه وينجيه من خطره . وفى هذه الآونة يعود « أريس » إلى الميدان فينعش حماسة التروادين ويتقدمهم إلى ساحة الوغى

وينشر الفزع بين صفوف الأكيان بهيئة تجعل ذيوميذيس نفسه ينسحب هلعاً . وإنهم لكذلك إذ بـ « بيريه » و « أثينيه » تنالان الإذن من زوس بالنزول إلى الميدان وتنزلان إليه فتنشغل هيريه بتشجيع الأكيان بينما تثير أثينيه ثائرة ذيوميذيس من جديد وتصعد معه فوق عربته وتوجهها صوب أريس ، وبفضل قوتها وتشجيعها يطعن البطل إلاه الحرب فيجرحه ويضطره إلى الانسحاب إلى الأولمب . وبهذا تنتهى الأنشودة الخامسة .

ويرى النقاد أنها تمتاز بعدة ميزات غريبة ، منها أنها هى الوحيدة من بين أناشيد الإلياذة والأوديسا التى تدعو « أفروديتيه » بـ « كِبريس » والتى تتحدث عن والدتها ديونيه . وأكثر من هذا أن المؤلف يضع فيها على لسان هذه الوالدة خطبة تفيض بأساطير غير معروفة ، وأن المؤلف يطلق فيها وفى الأنشودة الرابعة على « أثينيه » اسم « ألَلْكومينيئيس » وهو اسم لايطلق عليها فى أى موضع آخر من الإلياذة .

فإذا كنا فى الأنشودة السادسة فنحن نرى رؤساء الأكيان يزيدون فى مضاعفة مجدهم بموالاة كراتهم على أعدائهم ، بينما نشاهد جيش تروادة يتملكه الفزع وتسوده الفوضى ، ونرى هِكْتور يحاول بكل مالديه من قوة جمع كلمته وإعادة النظام إليه . فإذا تم له ما أراد نراه يغادر الميدان تحت تأثير نصح شقيقه « هيلينوس » كاهن أپولون ليطلب إلى والدته أن تقدم قرباناً إلى أثينيه عسى أن تخفف من ضغطها على جيشهم ، فلا يسع هذه الوالدة هيكوبيه إلا أن تذهب إلى معبد أثينيه يصحبها عدد من السيدات التروادیات وتقدم إليها الضحايا متوسلة إليها أن تحطم حربة ذيوميذيس ، ولكن توسلاتها تذهب سدى . وفى أثناء ذلك يتوجه إلى شقيقه پاريس ويحاول أن يعيد الشجاعة إلى قلبه ، وغرض هِكْتور من هذا التشجيع أن يحمل شقيقه على العودة إلى القتال . فإذا انتهينا من هذا المنظر فنحن أمام منظر آخر يفتت الأكباد أسًى وحزناً ، وهو منظر وداع النبيل هِكْتور لزوجته المحبوبة « أندروماخيه » وابنه الوحيد قبل ذهابه إلى ساحة الوغى التى لايضمن عودته منها ، وهلع هذه الزوجة الشابة على زوجها العزيز الذى تحبه إلى حد العبادة والتقديس .

وإذا كانت الأنشودة السابعة فنحن لانزال فى المعركة عينها ، وإنها لعلى أتم ما يكون

احتداما ، إذ بنا نشاهدها تنقطع فجأة وتحل محلها مبارزة شخصية . و بيان ذلك أن هِكتور يظهر فى الميدان و يتحدى رؤساء الأكيان فيقبلون و يقترعون فتعين القرعة البطل « أيَاس » فيتبارزان ، ولكن المبارزة تظل بدون نتيجة . و إذ ذاك فُجَاءَةً باتفاق على الهدنة يوماً واحداً ليتمكن الفريقان من دفن موتاهما . وفى أثناء هذا اليوم ينتهز الأكيان الفرصة فيقيمون حول معسكرهم حصناً هائلا .

و يرى الأستاذ كروازيه أن هذه الأنشودة تحتوى على عدة مخالفات لطبائع الأشياء . فمن ذلك مايلى :

١ ـ إن ذيوميذيس الذى رأيناه فى الأنشودة السابقة نسيج وحده يختفى بتاتاً فى هذه الأنشودة رغم أن أثينيه ترفض تحطيم حربته .

٢ ـ كيف أن الأكيان يوافقون على وقف معركة لهم فيها الغلبة و يستبدلونها بمبارزة شخصية .

٣ ـ كيف يقبلون عقد معاهدة مع التروادين الذين ينتهكون حرمة المعاهدة السابقة فى اليوم نفسه ولانرى الأكيان يشيرون إلى هذا النقض أية إشارة .

٤ ـ كيف يستطيع الهيلين أن يقيموا فى يوم واحد حصناً هائلا على حد تعبير المؤلف لاسيما وأنهم كانوا يحاصرون تروادة منذ تسعة أعوام ولم يفكروا فى بناء ذلك الحصن قبل هذا اليوم ، وهذا كله يدل على أن هذه الأنشودة أقحمت دون أية عناية بالفن أو بالانسجام ، وأن مؤلفها ليس هو مؤلف أنشودة مفاخر ذيوميذيس .

ومهما يكن من شىء فإننا نشاهد أن وعد زوس لـ « ثيتيس » بانهزام الهيلين لايزال معلقا ، ولكى يتحقق يجب أن ننتظر الأنشودة الثامنة ، وهى قصة المعركة الثانية من الإلياذة ، فإذا وصلنا إليها فنحن فى صباح اليوم التالى ليوم الهدنة ، ونحن فى الأولمب نشاهد زوس يرغى و يزبد و يحظر على جميع الآلهة التدخل فى هذه الحرب و يهدد من يخالف أمره بأسوأ مصير . و إذ ذاك تنقلب المعركة على الأكيان فيسوء موقفهم و يصيب رؤساءهم الأعلين فزع شديد فلا تلبث الإلاهتان : هيريه ، وأثينيه ، أن تقوما بمحاولات لمعاونتهم

رغم تهديد زوس ، ولـكن تلك المحاولات تضيع سدى وتظل الحال على هذا المنوال حتى يجن الليل فيرى الأكيان أنفسهم قد تقهقروا إلى معسكراتهم .

ويصف النقاد هذه الأنشودة بالفقر وتفاهة المستوى ، ولا يستحسن الأستاذ كروازيه منها إلا منظر مجلس الأولَمْب ، وهو يرى أنه أقحم فيها ، بل قد لايـكون مؤلفه هو نفس مؤلفها .

فإذا كانت الأنشودة التاسعة — وقد وضع الليل أوزار المعركة — فنحن فى معسكر الأكيـان نرى أجاممنون يعقد مجلس الملوك ويقترح عليهم رفع الحصار عن تراودة والعودة إلى بلادهم ، ولـكن هذا الاقتراح لا ينال قبولاً . وبعد محاورة يتفق الجميع على أن يرسلوا سفارة إلى أخيلوس ليسترضوه ويعيدوه إلى صفوفهم ، وهذه السفارة تتألف من أوديسوس ، وأيّاس ، و ، فينِكْس الشيخ ، ولا يكاد هؤلاء الأبطال يمثلون أمام أخيلوس حتى يستقبلهم استقبالاً لطيفاً مفعماً بالأدب والبشاشة وإذ ذاك ينتهزون هذه الفرصة ويلقون لتهدئته خطباً ساحرة يصرحون فيها بأن أجاممنون يعترف بجرمه وينحنى أمامه ، وأن الأكيان ينضمون إلى رؤسائهم ويسألونه العفو ، وأن الجميع لا ينتظرون سلامتهم إلا على يده ، وأنهم على أتم استعداد لأن يبجلوه كإله غير أن آخيلوس لا يلين أمام هذه

[الصورة رقم ٥ مأخوذة من متحف اللفر ، وهى من صنع الفنان هيرون]
وتمثل أوديسوس وأياس منحنيين بين يدى أخيلوس انحناء التوسل والضراعة وقد وقف فينكس الشيخ وهو ثالث السفراء خلف كرسى أخيلوس .

الأماليق ويرد عليها بعبارات ملؤها السخط والغضب ويأبى أن ينخدع باستعطافاتهم الزائفة ويرفض أن يغفر تلك الإهانة الجارحة التى صوب أجاممنون سهامها إلى صدره على مرأى ومسمع من كل ملوك الهيلين وأبطالهم ، ولم يقف واحد منهم فى صفه وقفة الشهم الكابح جماح هذا العاهل الشره الذى لم يفكر فى أن كل هؤلاء الفرسان إنما يتجشمون المتاعب والصعاب فى سبيل إنقاذ زوجة أخيه .

ولقد كان النقاد الأقدمون يرون أن هذه الأنشودة التاسعة هى من أقدم أناشيد الإلياذة ومع ذلك فهم يرون أن دور « فينكس » قد أضيف فيها إلى دورى « أوديسوس » و « أياس » بهيئة تشف عن جهل مقحمة ، لأن المؤلف الأول قد أعاد فى الأنشودة صيغة التثنية عدة مرات . وهذا برهان قاطع على أن السفارة المرسلة إلى أخيلوس كانت مؤلفة من بطلين اثنين لا من ثلاثة ، أما المحدثون فيشوكهم فى هذا الرأى ما يلحظونه من تناقض هذه الأنشودة مع غيرها فى أخلاق أجاممنون .

أما الأنشودة العاشرة فهى تقص علينا نبأ حملة ليلية يبعث بها الأكيان إلى معسكر أعدائهم ويقوم بها أوديسوس وذيوميذيس فى نفس الليلة التى تحدث فيها مفاوضة أخيلوس ويكون من نتائجها تذبيح « ريزوس » التراسى وأصحابه وهم من حلفاء التروادين . وفى أثناء عودتهما يلتقيان بالجاسوس التروادى « دولون » فيقتلانه .

وقد أعلن النقاد القدماء أن هذه الأنشودة قد أضيفت إلى الإلياذة فيما بعد ، إذ أن القصة التى تحتويها ليست ضرورية لتتابع سلسلة الحوادث ، ولأن ما تم فيها لا يعقل أن يتم فى ليلة واحدة مع ما ذكر فى الأنشودة التاسعة . والنقاد المحدثون يوافقون على هذا ويضيفون إلى أسانيده أن أسلوبها أدنى بكثير من أسلوب الأناشيد الأخر .

١ ـ الأنشودة الحادية عشرة :

إذا كانت الأنشودة الحادية عشرة فنحن فى المعمعة نشاهد « إيريس[1] » Eris تعد العدة بأمر ، زوس لإبلاغ لهيب المعركة أشده ، ونرى أجاممنون ـ وقد امتلأ شجاعةً وأملاً ـ يتسلح ويندفع إلى ساحة الوغى ، وقبل أن يحتدم القتال نلفى زوس يصرح بعزمه على هزيمة الأكيان فى قوة وتصميم ، ويقبض بيده على زمام الحوادث ، ونشاهد الآلهة الآخرين معتكفين فى قصورهم كأنهم يعتزلون كل شؤون هذه الحرب . ولا يكون سلوك هذه الخطة من جانب زوس إلا إنجازاً لوعد ثيتيس بهيئة حاسمة . وعلى أثر ظهور هذا الحزم تشتبك المعركة فيبرز أجاممنون ويشغل فى عزة ، مركزه كقائد أعلى للجيش كله ، ويعلن أنه سيؤم الجميع إلى سعير النزال ثم يفعل . وهنا يشير زوس على هكتور أن يظل بعيداً عن المعركة ، وألا يساهم فيها إلا بعد أن يختفى منها أجاممنون . وحوالى منتصف النهار يهوى أجاممنون جريحاً فيتغير وجه الحوادث ويقذف هكتور بنفسه فى الميدان « شبيهاً بصدمة زوبعة عنيفة تهوى من شاهق جبل على البحر المظلم » . وإذ ذاك يتحول موقف الأكيان إلى دفاع وتتغير قيادة جيوشهم ثلاث مرات ، فيتولاها بعد أجاممنون ، أوديسّوس ، و ، ذيوميذيس ثم ، أوديسوس ، وحده ثم مينيلاؤوس ، و ، أيّاس ، حسبما يصيب كلاً منهم من طعنة أو أو هزيمة . وأخيراً يظل أيّاس يقاوم ولا يتقهقر إلا خطوة بعد خطوة حتى يقهره زوس على التخلى نهائياً فيتم بذلك انهزام الأكيان .

وفى أثناء هذه الهزيمة المنكرة يحمل نِستور الشيخ فى عربته الطبيب « ماكاوون » جريحاً فيلمحهما أخيلوس من خيمته ولكنه لا يدرى من هو هذا الجريح المحمول فيرسل صديقه بَتْرُ كلوس ليستطلع الخبر فيتوجه هذا الأخير إلى خيمة نِستور وبعد أن يقف على ماجاء من أجله يهم بالعودة فيستوقفه الشيخ فيأبى المقام محتجاً بأن أخيلوس ينتظره ، ولكن نِستور

(١) إيريس هى إلاهة النزاع والشقاق فلا ينبغى أن تلتبس بإيريس رسولة الآلهة ، لأننا اضطررنا أن نكتبها فى العربية على صورة واحدة مع اختلاف حروفهما فى الهيلينية ، إذ أن هذه الأخيرة تكتب هكذا . Iris

يلقى عليه خطبة طويلة لا علاقة لها بالظروف الراهنة . وفى أثناء عودة ، بَتْرُكلوس ، يرى أوريبيلوس ، جريحاً فينسى انتظار أخيلوس إياه ويبقى مع صديقه الجريح ولا يعود إلى أخيلوس إلا فى الأنشودة الخامسة عشرة .

ويرى الناقدون أن القسم الأول من هذه الأنشودة قوى مفعم بالجمال وأنه لابد أن يكون التالى المباشر للأنشودة الأولى ، إذ أن الاتساق فيه يتتابع ببساطة وأنه يفيض بالحوادث دون أن يلتبس بعضها بالبعض الآخر ، وهذه محاسن لم يصادفها القارىء إلا فى الأنشودة الأولى ، وفوق ذلك فإن أجاممنون يظهر فيها على النحو الذى يظهر عليه فى الأنشودة الأولى : صلابة لا تعرف اللين ، وشجاعة لا تتراجع أمام الأخطار وكبرياء تصل إلى الخروج على المألوف ، وهذا كله يتنافى مع أجاممنون اليائس المتضعضع الذى يبدو لنا فى الأنشودة التاسعة .

أما القسم الأخير من هذه الأنشودة الحادية عشرة فهو ضعيف فى معانيه ومبانيه ، وكأنه لم يلحق بالقسم الأول إلا إعداداً للأنشودة التالية .

٤ ـ من الأنشودة الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة :

إذا وصلنا إلى الأنشودة الثانية عشرة فنحن نرى التروادیين ثملين بخمرة النصر يوالون زحفهم وهجومهم على حصن الأكيان ونشاهد هؤلاء الأخيرين يتابعون تقهقرهم وانسحابهم وكان المنتظر أن تستمر هذه الحالة فى سيرها الطبيعى ، غير أن الأنشودة الثالثة عشرة تفاجئنا بما لا يكون فى الحسبان إذ نرى زوس ـ وقد تحلل من وعده لثيتيس بتحقيق هزيمة الأكيان وانحنائهم أمام أخيلوس ـ يدير وجهه عن التروادیين فتكون نتيجة ذلك أنه يقذف بحوادث الحرب إلى يد المصادفة فتتأرجح فوق صفحة الحظ يميناً وشمالاً ويصبح فيها الفوز بين الفريقين سجالاً . وإذ ذاك يرى الآلهة الآخرون أنفسهم فى حل من التدخل ويعتبرون إغضاء زوس عن المعمعة إذْناً لهم بالمساهمة فيها ، كل حسب ميله وهواه

فنرى « بُوسِّيذون » Posèidon عدو التروادیین الذی ظل فی عزلة عن المعركة إلى الآن يبادر إلى معونة الأكيان ، وهنا يرسم المؤلف أمامنا صورة شيقة لرحلته البحرية من مقره إلى موضع الموقعة ، ولا يكاد يصل حتى يظهر بصور إنسانية مختلفة كى يتمكن من إثارة رؤساء الأكيان ، و إذ ذاك تشتبك معركة بين الفريقين وتظل غامضة النتائج حتى يجمع هكتور جيش تروادة ويحمل على أياس دون أن نلمح أية معونة للأكيان من جانب « بوسِّيذون » .

فإذا كانت الأنشودة الرابعة عشرة فنحن فى مجلس ملوك الهيلين نسمع محاوراتهم ونشهد أجاممنون يعرض عليهم الرحيل من جديد : ولكن ، أوديسوس ، و ، ذيوميذيس، ينبذان هذا الرأى ، و إنهم لكذلك إذ بـ « بوسِّيذون » يظهر فى صورة شيخ مجهول و يظل يشجعهم و يثير حماستهم . وحينئذ تلعب « هيريه » دورها الشهير البديع ، فلكى تعين « بوسِّيذون » على مناصرة الأكيان وتقيه تنبُّه زوس تعمد إلى غمر هذا الأخير بلذيذ غرامها ثم تستعين عليه بإلاه النوم فتنيمه نوماً عميقاً . وعند ذلك يخلو الجو لبوسِّيذون فيضاعف جهوده ، بل لا يتحرج عن السير على رأس الجيش الهيليني فلا يكون بد للتروادیین من التقهقر . وأكثر من هذا أن أياس يطعن هكتور طعنة يغيب بسببها وعيه و يحمله مواطنوه بعدها فاقد الرشد ولا يعود إلى الإدراك إلا بصعوبة ويسترد الأكيان كل ما كان التروادیون قد احتلوه من جبهة القتال .

و يرى النقاد أن هذه الأنشودة الرابعة عشرة هى أضعف أناشيد الالياذة على الإطلاق إذا استثنينا منظر دلال هيريه على زوجها ومخادعتها إياه حتى تنيمه فإن هذه القطعة قد انفردت بجمالها عن الأنشودة كلها .

و إذا وصلنا إلى الأنشودة الخامسة عشرة فنحن أمام زوس وقد استيقظ من نومه ورأى ماحدث فيثور ثائره و يصمم على إعادة الأمر إلى الحالة التى كان عليها قبل نومه فيبدأ بأمر بوسيذون بالانسحاب فلايسع هذا الأخير إلا أن يذعن آسفا . و بعد ذلك ينزل أبولون إلى الميدان فينعش هيكتور و يعيد إليه قوته ونشاطه وليس هذا فحسب ، بل هو يتولى بنفسه قيادة جيش تروادة و يدفع الأكيان إلى الوراء و يهدم حصنهم هدماً تاماً . و إذ يرى الأكيان

هذه الهزيمة المنكرة لايجدون بداً من الفرار إلى سفنهم الراسية فى الشاطىء ، وحينذاك فقط نرى « پتْرُكلوس » الذى تركناه فى خيمة « أُرِيپيلوس » فى الأنشودة الحادية عشرة يخرج منها ويعود إلى صديقه أخيلوس

ويعتقد النقاد المحدثون أن هـذه الأناشيد الأربع الأخيرة من وضع أعصر مختلفة قصد بها واضعوها إطالة الأليادة أو الإعداد لما سيجىء منها بعد ذلك على نحو ماحدث فى الأناشيد التسع التى تلى الأنشودة الأولى ، ولـكنه انتحال لابأس به ، لأن الحوادث فى هذه الأناشيد ليست متنافرة ولابارزة الشذوذ ، وفوق ذلك ففيها مناظر لاتخلو من جمال فى التصوير والأسلوب .

٥ — الأنشودتان السادسة عشرة والسابعة عشرة

ألفى القراء منذ أقدم العصور هاتين الأنشودتين معنونتين مع أواخر الأنشودة الخامسة عشرة بعنوان «البِـتْرُكلوسية» لأن پَترُكلوس صديق أخيلوس هو الذى يشغلهما ويمثل أهم أدوارهما .وبيان ذلك أننا إذا وصلنا إلى الأنشودة السادسة عشرة نرى التروادیين يندفعون وراء الأكيان المنهزمين حتى يصلوا إلى السفن فى مراسيها ونرى قائدهم هكتور يهدد الهيلين تهديداً شديداً ، ويهين أبطالهم إهانات متكررة تجرح عزتهم ، ونشاهد أيَاس يدافع فى شجاعة وبسالة ، ولـكن الأكيان ـ رغم استماتة قائدهم ـ يشعرون بأنهم خسروا المعركة ، وهنانرى پَتْرُكلوس يصف لصديقه أخيلوس الحالة الأسيفة التى وصل إليها الهيلين ويطلب إليه أن يمزق ستار هذه العزلة ويساهم فى القتال ، فيصر أخيلوس على رفضه إصرارا لايتزعزع ، ولـكنه يسمح له هو بأن يحمل سلاحه وينزل إلى الميـدان . وفى الحق أن الحالة كانت تقتضى الإسراع ، لأن هكتور كان قد هزم أياس وحطم حربته وتمكن من إشعال النار فى إحدى سفن الأكيان . وبعد إقامة إحدى الصلوات الفخمة يندفع پَتْرُكلوس إلى المعمعة متسلحاً بسلاح أخيلوس ومستعيناً بجنوده فلا يكاد يصل إليها حتى يتبدل الحال ويتغير وجه الأمر كله فتطفأ الحرائق ، ويحال بين التروادیين وبين السفن ، بل هم يتقهقرون إلى ما وراء الخندق . وإذ ذاك يلتقى القارىء بصورة حماسية رائعة لتقهقر التروادیين .

وإذ وصل بَتْرُكلوس إلى هذا الحد من الفوز فقد كان الواجب عليه أن يكتفى بذلك ويعود حسب أمر صديقه أخيلوس ، غير أن خمرة الانتصار تلهيه عن الوفاء بما اتفقا عليه فيقطع الطريق على الفارين من فلول الجيش الترواذى ويُعمل السيف فى رقابهم ثم يتابع تعقب الباقين . وفى أثناء ذلك يلتقى بهكتور فيقتل قائد عربته فتنشأ من هذا معركة مرعبة حول الجثة يتدخل فيها أپولون لمناصرة هكتور ويتخذ وسيلة لذلك نزع سلاح بَتْرُكلوس فيتمكن « أوفُرْبوس » من طعنه فيهوى جريحا ثم يبادر هكتور بالإجهاز عليه ، ولكنه يتنبأ قبل موته بأن أخيلوس سينتقم له . وبهذا تنتهى الأنشودة السادسة عشرة .

أما الأنشودة السابعة عشرة فهى تدور كلها حول المعارك العديدة التى يحتدم لهيبها بين الفريقين إلى جانب جثة بَتْرُكلوس . ولهذا كانت — رغم جمال بعض مناظرها — مملة لتماثل كثير من أجزائها .

ويرى النقاد أن البَتْرُكلوسية من وضع هوميروس وأنها تابعة تبعية مباشرة للأنشودة الحادية عشرة ، إذ هى تماثلها فى البساطة والوضوح وصراحة التصرفات ، وأن الأهواء مرسومة فيها بدقة. ويعلن الأستاذ كروازيه أن أخلاق أخيلوس فى الأنشودة التاسعة ، تتناقض معها فى الأنشودة السادسة عشرة ، إذ أن هذا البطل فى الأولى يرفض كل مايعرضه عليه الهيلين من ترضيات ، بينما هو يرسل صديقه فى الأنشودة الأخيرة

[الصورة رقم ٦ وقد رسمها الفنان الفرنسى نوتور نقلا عن كأس أثرية من صنع الفنان الإغريق أكيثيوس وهى صورة أحد القاتلين الهيلين وهو يقذف بنفسه فى معمعان المعركة].

لمناصرتهم ، لاحُباً فيهم ولا احتفاظاً بكرامتهم ، وإنما حرصاً على سفنه الخاصة التى يخشى أن تمتد إليها ألسنة النيران ، وهو يطلب إلى هذا الصديق ألّا يغالى فى طرد التروادیين حتى يظل الأكيان فى حاجة إليه ويعودوا إلى استرضائه بتعويضات مادية . وهذا كله يدل على أن الأنشودة التاسعة ليست من الإلياذة القـديمة ولو فى نظر النقاد المحدثين على أقل تقدير .

٦ — من الأنشودة الثامنة عشرة إلى الأخيرة

يشغل أخيلوس هذه الأناشيد السبع الأخيرة . ولهذا رأى الناقد « لَشْمان » أنها جديرة بأن تعنون بالأخيلوسيات وإن كان ذلك ليس معناه أنها لمؤلف واحد ، ولا أنها كتبت فى عصر واحد . ومهما يكن من الأمر فإذا وصلنا إلى الأنشودة الثامنة عشرة فنحن نشاهد « أنتيلوكوس » يحمل إلى أخيلوس نبأ قتل صديقه بَتْرُكلوس ، فتسحق هذه الصدمة العنيفة قلبه أول الأمر ، ويبلغ به اليأس حداً يصل أثره إلى والدته ثيتيس فتجىء على الفور يتبعها موكبها من عرائس البحر ، وتحاول جهد طاقتها مواساته فيظل جامد الحس كأن فؤاده أوصد أمام كل تعزية وصار لايفكر إلا فى الانتقام لصديقه ، فلا يسع هذه الوالدة المرتاعة على ابنها إلا أن تَعِدُه بصنع سلاح يعتاض به عن سلاحه الذى غنمه التروادیون عند قتل صديقه . وعلى أثر رحيل أمه نراه ـ وقد طار طائر الاتزان من رأسه ـ يندفع إلى جيوش الأعداء بلا سلاح ولا دروع يبحث عن جثة صديقه العزيز . وإذ يشرف على جموع التروادیين يصرخ فيهم صرخة جبارة لاتشبه صرخات البشر تجعلهم يفرون جميعاً منهزمين أمام هذا الرجل الأعزل الذى ليس بيده ولاعلى جسمه شىء من معدات الحرب . وعندما يخلو له الميدان ويقف فيه وحده ، يأخذ فى التفرس فى وجوه القتلى الذين يزدحم بهم مكان المعركة حتى يعرف جثة صديقه الشهم فيحملها بين أحضانه ويسير بها إلى خيمته حيث يجلس طول الليل يذرف الدمع عليها . وأخيراً يقسم ليشتركن فى القتال منذ الغد

وليقتلن هِكتور ولو كان فى حماية الآلهة . وبينما هو على هذا النحو كانت أمه الإلاهة البحرية تتفاوض مع « هيفيستوس » إلاه الحِدَادة فى أن يصنع عدة حربية خالدة ، ليحملها ابنها غداً فى حالة انتقامه لصديقه الراحل ، فيفعل لها الإلاه ماتريد ويستولى أخيلوس على هذه العدة الإلاهية التى تزيد الرهبة منه إلى حد كبير .

هذا هو القسم الأول من الأنشودة الثامنة عشرة ، أما القسم الأخير منها فيحتوى على عدة مناظر صغيرة أولها يحدث فى تروادة حيث نشاهد مجلس الزعماء منعقداً يتحاور فى الحالة الحربية فيقترح « پوليِّذاماس » العودة إلى تروادة والاحتماء بسورها ، ويقاوم هكتور هذه الفكرة ويعلن رغبته فى مهاجمة السفن عند مايتنفس الصبح . وثانى هذه المناظر يصور لنا طقوس الحِداد التى يقوم بها أخيلوس وجنوده لجثمان صديقه . وثالثها يروى لنا زيارة ثيتيس لـ « هيفيستوس » إلاه الحدادة ويرسم لنا تلك العدة الحربية البديعة التى يقدمها إلى أخيلوس .

ويعتقدالنقادأن القسم الأولهووحده القديم، أما المناظر الثلاثة التى تؤلف القسم الثانى فقد أضيفت إلى الأنشودة فيما بعد .

وإذا وصلنا إلى الأنشودة التاسعة عشرة فإننا نلفيها مفعمة بمناظر ، بعضها منخفض المستوى ، بل مسف إلى حد بعيد ، فأحدها مثلا يصور لنا ثيتيس تذود الذباب عن جثة پَتروكلوس ، وهى مهنة لاتليق بمقام الآلهة كما يلاحظ الأستاذ كروازيه . وثانيها يثقل على القارىء بمحاولة مملة تدور حول ماإذا كان يجب أن يتناولوا الطعام قبل المعركة أولا . ويصور لنا أخيلوس يأبى أن يذوق شيئاً، ويحاول الرؤساء أن يقنعوه بتناول الطعام ليكون أقدر على المقاتلة ، ولكن محاولتهم تذهب سدى فتتدخل أثينيه فى الأمر وتطعمه من طعام الآلهة على غير علم منه . وثالثها يحدثنا عن محاولة رؤساء الهيلين الاصلاح بين أخيلوس وأجاممنون ، ولكن البعض الآخر من مناظر هذه الأنشودة لابأس به ، إذ لانلبث بعد هذه المناظر السابقة أن نشاهد المستوى يرتفع فجأة فيرسم لنا أخيلوس ـ وقد استلأم سلاحه ـ يندفع إلى ساحة الوغى منقباً عن هِكْتور .

فإذا وصلنا إلى الأنشودة العشرين فنحن بديا فى مجلس الآلهة نشهدهم ينقسمون بأمر زوس إلى حزبين يؤيد كل حزب منهما من يميل إليه من الفريقين المتحاربين ويأخذ بنصيبه الفعلى من المقاتلة معه . فإذا انتهينا من هذا المنظر فنحن أمام منظر آخر نشاهد فيه أخيلوس يبحث عن هكتور فيلتقى أثناء بحثه بـ « إنياس » بن أفروديتيه الذى يثيره ضده أپولون فتشتعل بينهما منازلة فردية طويلة تتخللها الخطب من الجانبين . وبعد ذلك يصور لنا المؤلف أخيلوس ثائراً يسوق جنود تروادة أمامه سوق الأنعام ويعمل سيفه فى أعناقهم بلا رحمة ولاشفقة . وأخيراً يلتقى بغريمه هِكْتور فَيَهُمُّ أن يفتك به ولكن أپولون يخفيه عن عينه .

ويعلن الأستاذ كروازيه أن هذه الأنشودة ليست من وضع هوميروس ولاسيما المنظر الذى يحاول المؤلف فيه الإكبار من دور « إنْياس » .

أما الأنشودة الحادية والعشرون فتتألف من ثلاثة مناظر ، أولها عنوانه : « معركة إلى جانب النهر » ومجمله أن أخيلوس يتابع المجزرة حتى يصل بها إلى داخل النهر حيث يقتل «أستيروپيه» التراسى ، وهنا يغضب النهر على انتهاك حرمته ويهم بابتلاعه فيهرب أخيلوس أمامه فيتعقبه ويستعين عليه بنهر آخر فيتكاتف النهران ويفيضان فيغمران الميدان فتطفو الجثث والأسلحة على سطح الماء ، وبهذا يمسى موقف أخيلوس خطراً وهلاكه محققا ، ولكن سرعان مايمد « هيفسْتوس » إليه ـ بأمر « هيريه » ـ يد المعونة فينشر النار فى كل مكان فتجف المياه ويقف الفيضان وليس هذا فحسب ، بل إن النهر نفسه يطلب الغفران . وثانى هذه المناظر عنوانه « معركة الآلهة » وموجزه أننا نشاهد الآلهة ـ وهم من رأيناهم فى الأنشودة السالفة ـ منقسمين إلى حزبين متعاديين يتحدى بعضهم بعضا،ولكن نتيجة هذا التحرش لاتتعدى الكلام إلا إلى بعض المناوشات البسيطة . أما المنظر الثالث فكأنه تمهيد للأنشودة الثانية والعشرين ، ولذا وضع المؤلف له معها عنواناً واحداً وهو « موت هكتور » .

ومجمل هذه الأنشودة وتمهيدها أن المؤلف يقذف بنا فى وسط معركة ملتهبة تدور رحاها على أشلاء التروادين ويطلعنا على منظر الآلهة جلوساً فوق قمة الأولمب يشاهدون المعمعة .

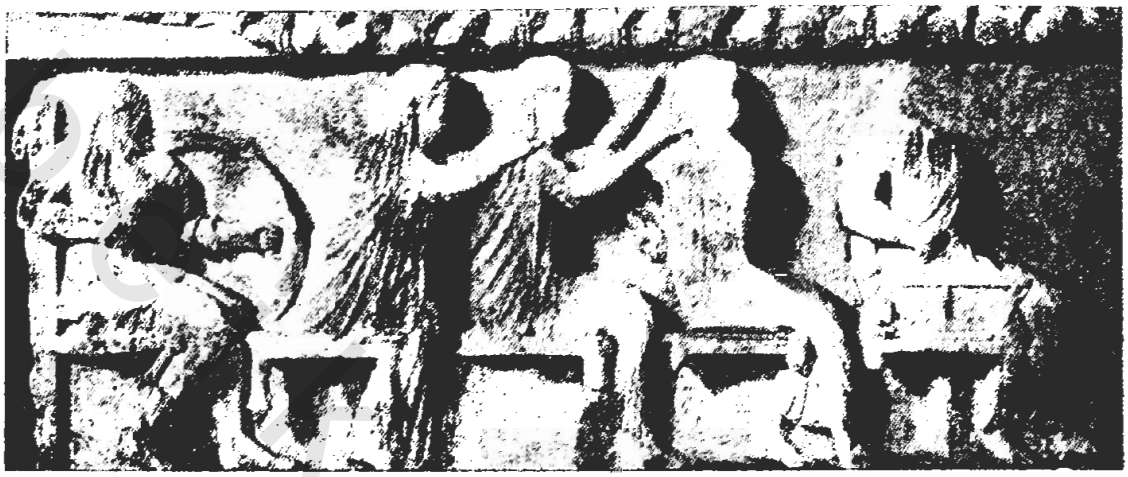

[الصورة رقم ٧ هى رسم بارز عثر عليه فى معبد دلفى
وهى تمثل مجلس الآلهة فى الأولمب وهم يشاهدون المعركة كأنهم فى مسرح يرقبون الممثلين]

وإذ ذاك نلفى أولئك التروادين المنهزمين يتدافعون إلى أبواب تروادة التى كان پرياموس قد أمر بفتحها ، ونرى أخيلوس يتعقب شبحاً زائفاً لِهِكتور أَوْجَدَهُ له أپولون ليضله ويبعده عن غريمه الحقيق ، غير أن هِكتور الشجاع تأبى عليه كرامته أن يتوارى من عدوه فينتظره منفرداً إلى جانب السور رغم توسلات والديه التى يرسلانها إليه من فوق السور

[الصورة رقم ٨ هى كسابقتها رسم عثر عليه فى معبد دلفى
وهى تمثل الجنود المحتار بين الذين يشاهدهم الآلهة من فوق قمة الأولمب]

أن يدخل باب المدينة فتضيع أدراج الرياح ويقف هذا البطل جامداً مصمماً على أن يلقى خصمه . وإنه لعلى هذه الحال إذ يظهر أخيلوس فيرتعب هِكتور من منظره ويستولى عليه هلع لايقوى على مقاومته فيسلم ساقيه للريح ، ولـكن أخيلوس يجد فى أثره . وهنا يرسم لنا المؤلف لوحة فنية هائلة لهذا الموقف المزعج الذى يشف عن إحداق الخطر بحياة هِكتور ، فينبئنا بأن زوس يتخلى عن مناصرة هذا التعس ويتركه لحظِّهِ ، وتنتهز أثينيه هذه الفرصة فتستوقف أخيلوس عن متابعته لحظة ريثما تلعب دورها ثم تذهب إلى هِكتور فى صورة شقيقه « ذيئيفوبوس » وتقنعه بأن يكف عن الفرار ويواجه عدوه فيفعل ، ويلتقى الخصمان ويشتعل لهيب المنازلة ، ونشاهد الجيشين المتعاديين فى هلع شامل واضطراب رهيب ، ونحس بأن قلوب الفريقين تكاد تنخلع من أمكنتها وتسقط فى علب الصدور جزعاً على هذين البطلين . وسرعان ما يكر أخيلوس على خصمه ثم يهوى عليه فى حنق وقسوة ويطعنه طعنة نجلاء فيسقط مدرجاً بدمائه . وقبل أن يلفظ النفس الأخير يتوسل إلى أخيلوس أن يحترم جثمانه ويسلمه إلى ذويه ، ولـكن هذا الأخير لايرق لتوسلاته ويجهز عليه وهو يسبه ويلعنه فيفارق الحياة بعد أن يتنبأ لقاتله القاسى بأنه سيقتل هو الآخر فى العاجل القريب . وعلى أثر ذلك يصور لنا المؤلف لوحتين متعارضتين أشد المعارضة ، بالغة كل واحدة فى بابها من الفن حد الفتنة والسحر . فبينما نرى فى اللوحة الأولى الأكيان يصيحون فرحين مستبشرين لاتكاد أفئدتهم تتسع لما يحل بها من غبطة وسعادة بقتل عدوهم الجبار ، نشاهد فى اللوحة الثانية پرياموس الشيخ المتحطم يكاد قلبه ينفطر حزنا ، و « هيكوبيه » والدة هِكتور ملتاعة تذرف الدمع السخين ، و « أندروماخيه » زوجته المحبة تولول ولولة تذيب النفوس أسى . وبهذا تنتهى الأنشودة الثانية والعشرون .

ويعلق الأستاذ كروازيه على المنظر الأول من الأنشودة الحادية والعشرين بأنه لا بد أن يـكون من وضع شاعر عبقرى خصب الخيال ، ولـكنه ليس لـ « هوميروس » لأنه لا تظهر عليه بساطة تسلسل الحوادث وجريانها فى تيار طبيعى كما هى الحال فى شعر ذلك

الشاعر ، إذ أن خروج النهر عن حدوده والاستعانة بنهر آخر وإشعال النار فى الميدان ومقاومة أحد هذين العنصرين بالآخر ، وبالإجمال قلب الطبيعة رأساً على عقب كما يظهر فى هذا المنظر ليس بالشىء الهين أو اليسير بل هو يباعد بيننا وبين البساطة الفخمة التى نلتقى بها دائماً فى أناشيد هوميروس وإن كان فى ذاته منظراً فاتناً .

وأما المنظر الثانى ـ وهو معركة الآلهة ـ فهو فى نظر فريق من النقاد لا يزيد على أنه محاكاة باهتة لمعركة النهرين : « إكْسَنْثوس » Xanthos » و « سيموئيس » «Simoïs» ويرى فريق آخر العكس فيرجح أن معركة الآلهة أدخل فى باب البدائية من معركة النهرين ، وأن هذه الأخيرة قد أضيفت إليها لترتفع بمستواها بعض الشىء ، ولكن الذى لا ريب فيه هو أن كلا المنظرين ليسا من تأليف هوميروس ، لأن التلفيق بادٍ عليهما بأجلى مظاهره .

وأما المنظر الثالث من الأنشودة الحادية والعشرين وكل الأنشودة الثانية والعشرين وهو المعنون بموت هكتور فعليه علائم القوة والعظمة والبساطة والفخامة التى هى من مميزات شعر الإلياذة البدائية .

ومن روائع الجوانب التى يبدو فيها جمال هذا القسم أنه يرسم الحقيقة ويصور قوة العاطفة بهيئة لا تكاد تدع للمغالاة ثغرة تنفذ إليه من خلالها . ومن مميزاته كذلك هذا الأسلوب القوى الرصين الذى يصوغ فيه الشاعر حوادثه الفاجعية المؤثرة .

وأما الأنشودة الثالثة والعشرون فتتألف من منظرين ، أولهما يشغله المؤلف بإعداد جنازة پَتْرُكلوس وما يقتضيه ذلك من طقوس دينية وتقاليد قومية . وثانيهما يصور لنا الألعاب التى هى من لوازم الجنائز الكبرى والتى يقوم بها أبطال الهيلين وعلى رأسهم أخيلوس لتشريف صديقه الراحل مثل سباق العربات والمصارعة والرمى بالقوس وقذف الحراب وهلم جرا .

ويرى النقاد أن المنظر الأول يصف العواطف والأفعال وصفاً محتشماً ، ولكنه تنقصه الفخامة . أما الثانى فهم يرون أنه أجمل من الأول فى دقة الوصف ولا سيما حين يصور لنا سباق العربات وإن كانوا يأخذون عليه طوله الممل ، وخلوه مثل سالفه من مميزات شعر هوميروس .

أما الأنشودة الرابعة والعشرون — وهى الأخيرة — فعنوانها « دية جثمان هكتور » ومجملها أننا نرى أخيلوس الذى لم تنطفىء من صدره نار الحقد على هكتور حتى بعد موته يسحب جثته الملقاة فى التراب على وجهها ويلف بها حول مجرة صديقه پَتْرُكلوس الجنائزية ليتم انتقامه له ويصمم بعد ذلك على أن يلقى بالجثة للطير والسباع وأن يحرمها الطقوس الدينية لكى لا تذهب روح هكتور إلى دار النعيم. [انظر الصورة رقم ٩ فى صفحة ٥٧] وإذ ذاك تأخذ الآلهة الشفقة فيأمر زوس « ثيتيس » بأن تعد ابنها لقبول فكرة رد الجثة إلى ذويها ، ومن جهة أخرى يرسل « إيريس » إلى پرياموس لتدفعه إلى التصميم على الذهاب بنفسه ليطلب جثة ابنه، فلا يسع هذا الشيخ المحزون إلا أن يغادر المدينة ليلاً متجهاً إلى عدوه اللدود رغم توسلات زوجه ألا يفعل ، وبفضل هِرميس الذى يقتاده دون أن يعرفه بشخصيته يصل إلى معسكر الهيلين ثم إلى خيمة أخيلوس فيمثل بين يديه ويركع على ركبتيه متوسلاً ضارعاً إليه أن يرحم شيخوخته الفانية فيخلى بينه وبين جثة ابنه العزيز ليقيم لها الطقوس الجنائزية التى لا بد منها للاستمتاع بالخلود . وإذ يرى أخيلوس ذلك من الشيخ البائس يرق له ويعطف عليه ويغمره بكرمه ولين جانبه ثم يأمر بغسل الجثة وتسليمها إليه فيحملها ويغادر المعسكر قبل طلوع الفجر ، ولا يكاد يصل إلى تروادة حتى يجمع الشعب ليندب ذلك البطل الماجد الذى خر صريعاً فى حومة الوغى تحت ضربة أخيلوس ، وبعد أن يتم له ذلك يقوم بالواجبات المقدسة فى وسط خضم هائل من الصراخ والعويل المنبعثين من أفواه الأيامى والثكالى اللواتى أصبحن يرسفن بعد فقد أزواجهن وإخوتهن وأبنائهن فى قيود الذل والهوان ولا سيما أندروماخيه زوجة هكتور ، وهيكوبيه والدته اللتين لا تنتهى الإلياذة إلا بعد أن تصف لنا فى عظمة مؤثرة وأسلوب ساحر فاتن صياحهما وعويلهما خلف الجنازة .

[الصورة رقم ٩ وجدت على وعاء ضخم فى متحف نابولى] .

وهى تمثل أخيلوس واقفاً فوق مركبته وقد جعل يسحب جثة هكتور على وجهها خلف المركبة ويدور بها حول المحرقة الجنائزية التى أعدت لإحراق جثمان پتركلوس صديق أخيلوس ، ويرى فى أعلى الصورة درع ذلك الصديق المائت كما يرى أشخاص يغدون ويروحون حاملين القرابين الدينية .

ويرى النقاد أن هذه الأنشودة الأخيرة مفعمة بالرقة والوداعة والخيرية وكبر النفس ، ولكنهم لا يستطيعون تعيين مؤلفها وإن كانوا يكادون يجزمون بأنه ذو موهبة عظيمة . وفوق ذلك فهم يلاحظون أن أسلوبها أقرب إلى أسلوب الأوديسَّا منه إلى أسلوب الأناشيد البدائية من الإلياذة ، بل إن بعض عبارات الأوديسَّا مستعارة من هذه الأنشودة .